العنوان:	البناء الموضوعي والفني في رسائل ابن حزم
المؤلف الرئيسي:	زريقات، شهناز رضوان علي
مؤلفين آخرين:	الخلايلة، محمد خليل(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2013
موقع:	الزرقاء
الصفحات:	1 - 129
رقم MD:	748566
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	الجامعة الهاشمية
الكلية:	عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الرسائل الأدبية، رسائل ابن حزم، البناء الموضوعي، البناء الفني، الأندلسي، ابن حزم
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/748566

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

زريقات، شهناز رضوان علي، و الخلايلة، محمد خليل. (2013).البناء الموضوعي والفني في رسائل ابن حزم (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الهاشمية، الزرقاء. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/748566

إسلوب MLA

زريقات، شهناز رضوان علي، و محمد خليل الخلايلة. "البناء الموضوعي والفني في رسائل ابن حزم" رسالة ماجستير. الجامعة الهاشمية، الزرقاء، 2013. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/748566

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

الفصل الأوّل :

(الحياة الثقافيّة في الأندلس في القرن الخامس الهجري)

لم يكن القرن الخامس الهجري في الأندلس زمناً منفصلاً عمّا قبله وما بعده ،بل كان ضمن سلسلة واحدة من الأزمان التي كان لكلّ منها بيئتها الثقافية التي تأثرت بما قبلها ،وأثرت بما بعدها .فلقد تأثرت البيئة الثقافية في القرنين الثالث والرابع الهجريّين بما كان سائداً قبلها من ثقافة المشارقة ،ثمّ نضجت البيئة الثقافيّة في القرن الخامس الهجريّ وأصبحت لها ميّزات خاصّة عُرف بها القرن الخامس في الأندلس .

الحياةُ الثقافيّة في الأندلس قبلَ القرن الخامس الهجريّ :

كان الأدب الأندلسي قد بدأ بالخروج إلى النّور و"ما زالت جذوره تضرب في الأرض شيئاً فشيئاً "(1) . فلم يستقلّ الأدب الأندلسيّ ،ويُصبح على ما هو عليه من وجوده كياناً مستقلا يُعبّر عن تلك البقعة إلا بعد أنْ بدأ يُثبّت لنفسه دعائم في الأرض شيئاً فشيئاً .

وقد كثُر الشعراء في القرنين الثالث والرّابع الهجريّين عدداً ولكن في غير ما تضخّم ، وتسير قافلة الشاعرات قليلة العدد بطيئة السير والسّرى ،فلا نكاد نقع إلا على عددٍ قليلٍ من الشّاعرات هُنّ :قمر ،وعائشة بنت أحمد القرطبية ،وحفصة بنت حمدون الحجاريّة .وقد كان شعرهنّ يتراوح بين الجِدّ والمحافظة ،وبين الانطلاق والتحرّر ، كمرحلةٍ وُسطى تكتشف الشاعرات فيها مراسي قدميها ،وتتحسّس الأرض التي تقف عليها وتختبر مدى ردّ فعل المجتمع الذي تواجهه بفنّها .وهناك شاعرتان التزمتا جانب المُحافظة في القول معاني وصياغة ،هما :حسّانة ،والجارية العجفاء (2). وكأنّنا في هذه الفترة لا نقع على مرحلة تمهيد للشّعر الأندلسي وحسب ،بل على مرحلة تجريب واختبار لذوق العامّة والخاصّة على حدّ سواء .

وهناك مُحرّكاتٌ ومُحفّزاتٌ أذكت في نفوس الأندلسيّين فكرة بناء أدب أندلسيّ يُعبّر عنهم ،ومنها: تشجيعُ الحُكّام والأمراء ،وشُيوع ظاهرة المُعارضة عند شعراء الأندلس ؛معارضة شعر المشارقة .وارتحالُ بعض رجال الأندلس إلى المشرق ،وأهمّ من ذلك الرّحلاتُ المُعاكسة

---

(1) انظر: الشكعة مصطفى ،الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده ،1972م ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت :127 .

(2) المصدر نفسه .

؛أيّ هجرةُ المشارقة إلى الأندلس ،فلقد كان لها دورٌ فَعّال في الحركة الثقافيّة في الأندلس .وذلك كما يأتي :

1- دورُ الحُكّام والأمراء :

يُعدّ الحُكّام أمراء وخلفاء أحد المؤثرات الرئيسية في تكوين الذوق الأدبي ،إذ مارس الحكّام بذوقهم العربيّ الأصيل منذ فترة تأسيس الإمارة وحتى بداية القرن الخامس الهجري وصاية عليه ،بأنْ جعلوا الأدب يستمدّ أنموذجه من أبعاد البيئة العربية وأعماقها ،ساعدهم في ذلك مواهب أدبيّة نهدت وترعرعت في منابت الأساليب الأصليّة (1) .وقد تراوح دور الحُكّام بين التوجيه والإدلاء بدلوهم من خلال أشعار بعضهم ،فلقد كان عددٌ منهم يقول الشعر .

و"كان عبد الرحمن الداخل كما يقول ابن حيّان :"بليغاً مُفوّهاً وشاعراً مُحسّناً" (2) ."وكان القاضي أبو محمّد بن عبّاد ممّن له في العلم والأدب باع ،ولذوي المفارق عنده بها سوقٌ وارتفاع وكان يُشارك الشعراء والبُلغاء في صنعة الشعر ،وحَوْك البلاغة بَسْطاً لهم وإقامة لهممهم ،ولما كان في طبعه من ذلك أيضاً (3) .وممّا قام به عبد الرحمن الداخل في سبيل تشجيع الأدب وازدهاره ،لا سيّما فيما يتعلّق بالنثر الأدبي "أنّه كان ميّالاً إلى حملِ النّاسِ على عرضِ شكواهم في رُقعٍ مكتوبة بدلَ مُشافهته بها ،ولا سيّما إذا كان فيها ما يُؤذي كرامتهم من سُوء الحال ،وقلّة المال "(4) . وفي هذا ما يدُلّ على عناية عبد الرحمن الداخل بفنّ الخطابة واستغلاله سُلطته السّياسية في سبيل الارتقاء بهذا الفنّ النثريّ ،والارتقاء ببقيّة الفنون الأدبيّة .

وكان للمعتمد بن عبّاد شعراً "كما انشقّ الكمام من الزّهر ،لو صدر مثله عمّن جعل الشعر صناعة واتّخذه بضاعة لكان رائعاً معجباً ونادراً مستغرباً"(5) . "وقد نما في شعر الأمراء و الخلفاء الاتّجاه المحافظ كما يتبيّن ذلك في شعر عبد الرحمن

---

(1) المقري ،نفح الطيب ،ج4 :36 .

(2) المصدر نفسه :39 .

(3) ابن بسام الشنتريني ،الذخيرة ،ق2 ،م1 :32 .

(4) ابن أحمد علي ،النثر الأندلسيّ في القرن الخامس الهجري :153.

(5) ابن بسام الشنتريني ،الذخيرة ،ق2 ،م1 :32 .

الداخل وغيره ،وقد ساعد على ذلك أنّ البيئة الجديدة بأحداثها السياسيّة و الاجتماعيّة قد فرضت موضوعاتٍ هي من صميم الاتّجاه المُحافظ ،كالشّعر الذي قيل في وصفِ المعارك الحربيّة"(1) .

ووصف الباحث الدكتور صلاح خالص شعر الخلفاء والأمراء بالطّبقيّة أو الأرستقراطيّة(2) . ولا مفرّ من أنْ يكون للأمراء والخلفاء طريقة خاصّة في كتاباتهم فرضت نفسها على ساحة الكتابة الأدبيّة بعض الشيء ،ومن ذلك أنّ هذه الفئة "تكره التّطويلَ والإكثار"(3) . ولكنّ ذلك لا يعني أنّهم فرضوا ما يُمليه عليهم هواهم ،بل حرصوا على السّير بركب الحضارة التي تليق بأندلسهم مستغلّين سُلطتهم استغلالاً إيجابيّاً في سبيل الرّفعة والنّهوض .

ولكنّنا لا نعدمُ أنْ نجدَ أدباً خاصّاً بالطّبقات غير الأرستقراطيّة من العامّة ،و ذلك فيما يتعلّق بطبيعة اللغة المستخدمة في هذا الأدب ،فإنْ كان الخُلفاء قد منعوا استخدام غير اللغة الفُصحى في الأدب شعره ونثره ،فإنّ هذه الطبقة كانت تستخدمُ اللغة الدّارجة التي لمْ تكنْ تلتزمُ بقواعد اللغة العربيّة الفصحى ،كما كانت مزدحمة بكلمات من اصل بربريّ ،ولكنّهم كانوا على استحياءٍ في هذه المُدّة(4) .والطّبقيّة هنا ليست نابعةً من الوضع الاجتماعي بقدر ما هي ناتجةٌ عن مقدار ثقافة أفراد كلّ من هاتين الطبقتين إن جاز استعمال مصطلح الطبقة في هذا الموضع .

ولمْ يكن الجديد – الذي ظهر على استحياء في البداية – التحرّرُ والانطلاق في الشعر ؛فقد وُجد عند المشارقة من في شعره شيء من التحرّر كأبي نواس ،وقبله بشّار بن برد ،وغيرهم.ولكنّ المقصود هنا أنّ العرب والمسلمين كانوا في بيئة ،وأصبحوا في بيئة جديدة وسكّان جدد ،بل وثقافات جديدة ومتنوّعة ،فأرادوا أنْ يجعلوا لأنفسهم شيئاً في ظلّ هذه الظروف الجديدة التي تختلف عمّا كانوا يجدونه عند المشارقة ،ليبنوا لأنفسهم بناء يختصّ بهم ويعبّر عن هذه البيئة ،بيئة الأندلس .ربّما لذلك نجد خصوصيّة في تسمية الأدب الأندلسي باسم المكان على غير ما نجده في الحقب الأخرى من تاريخ الأدب العربي التي كانت تسمّى باسم السلطة السياسية التي حكمتها (الأدب الأموي ،الأدب العباسي ...) .

---

(1) عليان مصطفى ،تيارات النقد الأدبي في الأندلس :12 .

(2) انظر:المصدر نفسه .

(3) ابن أحمد علي ،النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس :152.

(4) انظر: خالص صلاح ،إشبيلية في القرن الخامس الهجري : 87.

2- ظاهرةُ معارضة شعراء المَشارقة :

فقد برزت عند الشّعراء الأندلسيّين في شعرهم ظاهرة المعارضة لشعراء المشارقة ؛محاولة منهم للنّهوض بشعرهم والارتقاء به ،وكان هذا توجيهاً من الحُكّام "أراد به الحُكّامُ اقتفاء فُحول الشّعراء المارقة لبعث شعر رديفٍ لهم في الأندلس ،أغري به بعض الشعراء بمحاكاة المتنبي وبالغ في قدرته على ذلك .فقد طلب أبو عبد الله بن شرف في مجلس المأمون بن ذي النون أنْ يُشير إلى أيّ قصيدة شاء سيّده من شعر أبي الطيّب ،حتّى يُعارضه بقصيدة تُنسي اسمه وتُعفي رسمه ،وحين ألحّ ابن شرف في المسألة طلب إليه أنْ يُعارضَ (لِعينيكِ ما يَلقى الفُؤادُ وما لقى)"(1) . ويُلاحظ هنا بروز دور الحكّام والأمراء بشك كبير في الحثّ على هذه المعارضات الشعريّة للشّعراء المشارقة.

وذكر ابن بسّام :"فخلا بها ابن شرف أيّاماً فوجد مركبها وَعِراً ومريرتها شزراً ،و لكنّه أبى عُذراً ،وأرهف نفسه من أمرها عُسراً ،فما قام ولا قعد ولا حلّ ولا عقد"(2) .وبما أنّ الخلفاء اقترحوا هذا الأمر ،فسيصبح أشبه ما يكون بديدنٍ يسير عليه الشعراء في شعرهم .

3- ارتحالُ بعض رجال الأندلس إلى المشرق :

فقد ساهم هذا الارتحال في إذكاء الأدب الأندلسيّ في مرحلة نشأته وإعطائه الأسس اللازمة ، التي يستطيع بوساطتها أن يبني لنفسه أدباً خاصّاً به بعد ذلك .وقد ذكر المقّري أسماءً عدّة لرجال الأندلس الذين ارتحلوا إلى المشرق لينهلوا ليس من علم المشارقة وحسب ،بل من أدبهم – شعره ونثره – أيضاً .ومنهم :عبد الملك بن حبيب السّلميّ :"عالمُ الأندلس ،وقد عرّف به القاضي عياض في المدارك وغير واحد ،ورأيْتُ في بعض التّواريخ أنّ تواليفه بلغت ألفاً ،ومن أشهرها كتابُ الواضحة في مذهب مالك كتابُ كبيرُ مفيد ،ولابن حبيب مذهبُ في كتب المالكيّة مسطورٌ وهو مشهورٌ عند علماء المشرق ،وقد نقل عنه الحافظ ابن حجر وصاحبُ المواهب وغيرهما..."(3) .

---

(1) عليان مصطفى ،تيارات النقد الأدبي في الأندلس :13.

(2) ابن بسام ،الذخيرة ،ق2 :398 .

(3) المقّري ،نفح الطّيب ،ج6 :7- 8 .

وكان قد جمع إلى علم الفقه والحديث علم اللغة والإعراب ، وتصرّف في فنون الآداب ،رحل إلى المشرق فسمع من ابن القاسم وعاد إلى الأندلس فكانت الفتيا تدور عليه . تُوفّي سنة مئتين وثلاثٍ وثمانين للهجرة(283 هـ) ،وحُكي أنّه قال في دوله المشرق – وحضر مجلس بعض الأكابر ،فازدراه من رآه - :

لا تَنْظُرَنّ إلــى جسمــي وقِلّتِــهِ وانظرْ لصَدْرِيْ وما يَحْوِيْ مِنَ السُّنن
فَرُبّ ذي مَنْظَرٍ من غَيْر مَعْرِفَةٍ وَرُبّ مَنْ تَــزْدَرِيْــهِ العَيْــنُ ذُو فِــطَــن
وَرُبّ لُؤْلُـؤَةٍ في عَيْنِ مَـزْبَلَــةٍ لمْ يُـلْــقَ بـــالٌ لهــا إلّا إلـــى زَمَـــن(1)

"فقد ارتحل عبّاسُ بن ناصح إلى المشرق في عهد عبد الرحمن الأوسط ،فالتقى بأبي نواس ،وسمع شعره ،وأشاعه لدى عودته إلى الأندلس(2) .كما أدخل جوديّ النحويّ (ت 289هـ) كتاب الكسائيّ (ت189هـ) ،وكما هو شأنُ محمّد بن عبد الله الغازي الذي لقي في رحلته المشرقيّة الريّاشي وأبا حاتم(ت248هـ) .وجلب إلى الأندلس علماً كثيراً من الشّعر والغريب والعربيّة والأخبار ،والخَشَنيّ (ت366هـ) الذي كان بصيراً بكلام العرب ،وأحمد بن نعيم الذي جمع إلى العلم بالعربيّة تقدّماً في صناعة الشّعر وحظّاً من البلاغة(3) .

وقد نقل عثمان بن المُثنّى شعرَ أبي تمّام إلى الأندلس بعدَ أنْ لقيَه في رحلته وقرأ شعره عليه .ممّا دفع اللّغويين والمُؤدّبين إلى تَلقّفه وتبنّي تعليمه ،فأضحى يُقرأ في حَلَقات التّأديب والتعليم .وعُرف بذلك أبو عبد الله الغابي الذي كان يقرأ عليه شعرَ حبيب ،وعنه أخذ أبو العباس الطّبيخي ذلك ،فجمع إلى شرحه على شعر صريع الغواني (ت208هـ) شرحاً مُبسّطاً قريباً لشعر أبي تمّام .وعُرفتْ بعد ذلك طبقةٌ ذات بَصَر بشعر أبي تمّام أبرزها ابنُ الأصفر ،وقد طغى تأثيرُ أبي تمام عليهم(4) .

وقد ذكر المقّري أسماءً عدّة ،سيطول المقام بنا لو وقفنا عندها جميعاً(5) .

---

(1) انظر: المقّري ،نفح الطّيب ،ج6 :11- 14 .

(2) انظر :الزبيدي ،طبقات النحويين واللغويين ،تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط1 ،1972م ،دار المعارف :262 .

(3) انظر: المصدر نفسه :287- 290 .

(4) انظر: عليان مصطفى ،تيارات النقد الادبي في الأندلس :15- 17.

(5) ومنهم يحيى بن يحيى الليثي الذي توفّي سنة 224 هـ ،وأبو عبد الله محمّد بن عيسى وتوفّي سنة 339هـ ،وغيرهم كثير .

وإذا كان أبو تمّام لم يعدْ له حُضورٌ في أشعارهم ،فإنّ حماسته ظلّت محطّ اهتمام عند شعرائهم وأدبائهم ،ذلك أنّ أبا تمّام (ت231هـ) جرى فيها على مذهبٍ مُغاير لمذهب ابي تمّام في شعره(1) .والمُلاحظ أنّ الشّعراء الأندلسيين لم يتّجهوا إلى مُحاكاة شعراء مشارقة قُدامى ؛ كامرئ القيس أو النابغة أو الفرزدق مثلاً ،وذلك لأنّ من مجانبة الصّواب أن يبدأ المرء من العجلة إذا تعلّق الأمر بنهضة أمّة ،وعلى وجه الخصوص من الناحية الأدبية .فلقد انتقل الأدب العربي إلى بيئة جديدة لا عهد لهم بها ،بثقافات جديدة ،لها خصوصيّة تختلف عن بقيّة البقع التي عاشوا فيها في المشرق ،وطرأ عليهم فيها نقلاتٌ نوعيّة في كافّة الميادين ،سيّما الأدب والملهم الأساسي لهم في الأدب وهو البيئة الاندلسيّة .

لذلك من المُلائم أنْ يبدأ الأندلسيون مسيرتهم الشعريّة بمُحاكاة نماذج الشّعراء المحدثين كأبي تمّام وغيره .فلن يكون هناك جدوى من مُحاولة مُحاكاة الشعر الجاهليّ أو الأموي مثلاً ؛فتلك نماذج شعرٍ قديمٍ سعى شعراءُ المشارقة أنفسهم إلى تجاوُزها والتمرّد عليها ،هذا وهم ما زالوا في بيئة عربيّةٍ مشرقيّة ،فكيف الحالُ إذن مع بيئة مغربيّة جديدة ،كُلّ ما فيها من سُكّان وبيئة وثقافاتٍ وغيره جديدُ العهد على العرب والمسلمين .

4- الرّحلاتُ المُعاكسة :

كان لهجرة المَشارقة إلى الأندلس دورٌ فعّالٌ في الحركة الثقافيّة في الأندلس ،ومن هؤلاء :إبراهيم بن سُليمان الشّامي (ت291هـ)،وأبو اليُسْر إبراهيم بن أحمد الشّيباني الرّياضي (ت 298هـ) ،وأبو الفضل التميمي الدّارمي (ت280هـ)،والقالي (ت351هـ)، وغيرهم .

أمّا إبراهيم بن سُليمان الشامي فقد "دخل الأندلس في أواخر أيام الحكم شادياً للشّعر ،كان قد أدرك بالشّرق كبار المُحدَثين كأبي نواس وأبي العتاهية .وأبو اليُسْر إبراهيم بن أحمد الشيباني الرّياضي من أهل بغداد .كان قد لقي الجاحظ ،والمبرّد ،وثعلباً وابن قتيبة ،ولقي من الشّعراء أبا تمّام
والبحتري(ت284هـ)،ودعبلا(ت246هـ)،وابن الجهم (ت249هـ).وهو الذي أدخل إلى إفريقية والأندلس رسائل المُحدثين وأشعارهم ،وكان أديباً ومُرسلاً بليغاً .وأبوالفضل الدّارمي الذي تلمذ لأبي العلاء المعرّي (ت449هـ)،دخل الأندلس فأقام عند المأمون بن ذي النّون(2) .

---

(1) انظر: عليان مصطفى ،تيارات النقد الادبي في الأندلس: 17.

(2) المصدر نفسه : 18- 19.

وفي أواخر القرن الرابع الهجري كان الأدب الأندلسيّ شعراً ونثراً قد قطع شوطاً كبيراً في مجال تطوّره ونضجه وتنوّعه ،فقد كان قبل هذه الفترة "لا يكادُ يُفارقه طابَعه الإعلاميّ التبليغيّ ،ولا يكادُ يخرج عن دائرة الوالي ثمّ الأمير ،يحملُ عنهما ما يُريدان إيصاله للناس ،أو ينقلُ إليهما ما يعرضه بعضُ الناس عليهما من شؤون الحياة"(1) . فقد كان طابعه تعليميّاً ، وهذا طبيعيّ لأنّ الأدب الاندلسيّ كان ما يزال في طور النّشأة والتكوّن ،لذلك لا بُدّ من فهم واستيعاب الأبعاد التي يجب أنْ يكون عليها هذا الأدب والتي تمّ تحديدُها بداية من قبل الخلفاء والأمراء ،فلم يكن يتعدّى النظريّة والتطبيق عليها كمرحلة ابتدائيّة لمُحاولة الإمساك بزمام الأمور

الحياة الثقافيّة في الأندلس في القرن الخامس الهجري :

في هذا القرن وقف الأدب الاندلسيّ على قدميه بعد اكتمال أسسه التي بدأ يُشيّد عليها بناءه الخاصّ .و تزامن هذا القرن مع فترة ملوك الطوائف في الأندلس ،وتعدّدت الملوك والعواصم في الأندلس في هذا القرن ،و"حرص كُلّ ملك على أنْ يجمع حوله أكبر عددٍ من الأدباء والشّعراء ؛كابن زيدون (ت463هـ)،وابن الحدّاد (ت480هـ)،وابن درّاج القسطلي (421هـ)،وابن عُبادة القزّاز (450هـ)،والمعتمد بن عبّاد (488هـ). وفي آخر هذا العصر عاش الشّاعران الكبيران ابن حمديس (ت527هـ)،وابن خفاجة (ت533هـ)،وغيرهم من الشعراء الذين تركوا آثاراً نفيسة لشعرٍ رقيق أنيق بارع (2) . وهنا بدأ الأدب الأندلسيّ يتّسم بسماتٍ خاصّة به جعلت منه أندلسيّاً بحقّ ،وبدأ الاستقلال الفعليّ عن أدب المشارقة .

وإذا كان استعمالُ اللغة السائدة أو الألفاظ العاميّة في الشعر على استحياءٍ في فترة ما قبل القرن الخامس الهجريّ على استحياءٍ ،فإنّه قد ازدهر ازدهاراً كبيراً في هذا القرن ،ليس في الأوساط الشعبيّة العامّة وحسب ،بل في الأوساط الأرستقراطيّة أيضاً .وقد أطلق على هذا النّوع من الشّعر اسم الزّجَل ،الذي ازدهر ازدهاراً كبيراً في في القرن الخامس الهجريّ وكان له في إشبيلية ميدانُ نشاطٍ واسع(3) . فقد أصبح الاتّجاهُ في أدبِ القرن الخامس الهجريّ إلى ما يكون

---

(1) ابن أحمد علي ،النثر الأدبي الأندلسيّ في القرن الخامس :171.

(2) انظر: الشكعة مصطفى ،الأدب الأندلسي : 139.

(3) انظر: خالص صلاح ،إشبيلية في القرن الخامس الهجري :87.

قريباً من نُفوسِ الجماهير وأذواقهم وما يعتملُ في نُفوسهم ويُحرّكها ، بمن فيهم مُثقفون وغير مثقفين .

وفي هذا القرن يتّضحُ نُضج العقل الأندلسيّ ليس الأديب وحسب ،بل والناقد أيضا ؛حيث "نوعا من المُساواة بين الشّعر والنّثر"(1) فلم يعدْ الجدالُ الذي كان سائدا في المشرق حول قضية :أيّهما أعلى مرتبة وأعظم منزلة الشعر أم النثر ؟ بل أصبحتْ القضيّة الشاغلة :مدى الإجادة والتفوّق والتميّز .فابنُ شُهيد نفسه يعترف في حديثه لتابعه الذي سأله في بداية رحلته إلى عالم الجن وتابعي الشعراء والكُتّاب ،بمن يبدأون ،فأجابه ابن شُهيد :"الخطباءُ أولى بالتقديم ،لكنّي إلى الشعراء أشوق"(2) .

وقد سادَ في هذا القرن اتّجاهٌ للعناية بالشّكل ،كما كان الحالُ في المشرق "فكثُر التّزويقُ اللفظيّ وزادَ اصطناع المُحسّنات البيانيّة والبديعيّة ،والبحثُ عن الاستعارات والتشبيهات الغريبة النّادرة التي لا تستهدفُ في كثير من الأحيان سوى رسم صورة شكليّة لا حياة فيها"(3) .فلم تعد الصّورةُ وسيلةً مساعدة إلى جانب عناصر أخرى في القصيدة كالمعاني والأفكار ،بل أصبحت غاية في حدّ ذاتها لدرجة أنها تكون في أحيان كثيرة مواتاً لا حياة فيها .

أمّا على مستوى الغرض واللفظ على حدّ سواء ،فقد شهد الشّعرُ في القرن الخامس نهضةً كبيرة."واكبت نهضة الشّعر في هذا القرن نهضة أخرى من الشاعرات تمثّلت في وفرة عددهنّ واختلاف بلادهنّ ونفاسة إنشائهنّ وتجديد فنونهنّ" (4) .واللافت للنظر في العصر الأندلسيّ عامّة ،والقرن الخامس الهجريّ منه خاصّة حضور عدد غير قليل من الأديبات الأندلسيّات ،شاعرات على وجه الخصوص أكثر من مثيلاتهنّ في المشرق .

و برز في كلّ بيئة أندلسيّة عدد منهنّ ؛ "فكان في مدينة المريّة من الشاعرات المجيدات :الشاعرة الغسانيّة البجانية ، وزينب المريّة ،وغاية المنى ،وأمّ الكرام بنت المعتصم بن صمادح

---

(1) خالص صلاح ،إشبيلية في القرن الخامس الهجري :73 .

(2) ابن شهيد ،التوابع والزوابع :7 .

(3) خالص صلاح ،إشبيلية في القرن الخامس الهجري :87.

(4) الشكعة مصطفى ،الأدب الأندلسي : 139.

وفي غرناطة :نُزهون القلعيّة ،وحمدونة بنت زياد التي لُقّبت بخنساء الأندلس ،وأختها زينب .وكانتا تتردّدان بين مدينة غرناطة ومقرّهما السّاحر في وادي آش الذي يكاد يتوسّط المسافة بين المدينتين .وفي إشبيلية نجد الشاعرة مريم بنت يعقوب الأنصاري ،والأميرة الجميلة بثينة بنت المعتمد بن عبّاد (1) .

وإذاما انطلقنا إلى وادي الحجارة في طليطلة الذي خرج منه أدباء كبار نُسبوا إليه فسنرى الشاعرة أمّ العلاء بنت يوسف الحجاريّة .ولو عدنا إلى العاصمة قرطبة وجدنا فيها كبيرة
شاعرات الأندلس الأميرة ولادة بنت المستكفي ،وصديقتها إلى حين مهجة القرطبية (2) .وقد تباين انتشار ذكرهنّ ،فمنهنّ ذائعة الصيت ومنهنّ التي لا نكاد نسمع عنها في المصادر الأندلسيّة إلا الشيء القليل .ولا شكّ بعد كلّ هذه الأسماء من الشاعرات أنّ عدد الشاعرات في القرن الخامس زاد عنه في القرنين الثالث والرابع الهجريّين .

ولو اتّجهنا إلى نوع مخصوص من النثر الفنّي وهو المقامات سنجد أسماء لمقاميّين أندلسيين .ولكن رغم ذلك سنجد أنّ المقامات الاندلسيّة لمْ تلقَ اهتماماً من الباحثين والدّارسين المُعاصرين كما لقيتْ فنون النثر الأندلسي الأخرى من رسائل وخُطب وأدب رحلات وغيرها ،وذلك يعودُ إلى سببين :
الأوّل :نُزْرةُ المقاماتِ الأندلسيّة المتوافرة بين أيدينا من جهة .والثاني :لمْ يظهرْ في الأندلس كُتّابٌ مختصّون بهذا الفنّ عُرفوا به وعُرف بهم ،كما هو الحال عند بعض المقاميّين المشارقة من جهةٍ أخرى(3) .

---

(1) انظر: المقري ،نفح الطيب ،ج4 :154 ،155 ،158 ،ج2 :491،490 :
- نزهون القلعية : شاعرة عُرف عنها حضور مجالس الرجال ومساجلتهم ومهاجاتهم، وكانت موصوفة بخفة الروح والطباع النادرة. وعُرفَتْ بمخالطتها للرجال ومناكفتها لهم .
- حمدونة بمن زياد : هي حمدونة بنت زياد المؤدب نشأت في وادي آش بالقرب من غرناطة ولقبت بشاعرة الأندلس ،وكان للبيئة والطبيعة التي نشأت فيها تأثيرا قويا على أسلوبها في الشعر فقد رسمت أجمل الصور وهي

فإذا كان هناك من يكتب في فنّ المقامات في الأندلس فإنه لا يختصّ بهذا الفنّ وحده كبديع الزمان الهمداني عند المشارقة مثلاً ،فمن يكتب في هذا الفنّ في الاندلس كان يكتبه إلى جانب فنّ آخر .و"نجد من الكُتّاب الأندلسيّين من لمْ يُؤلّف سوى مقامةٍ واحدة أو اثنتين ،علماً أنّ أكبر عددٍ هو سبعُ مقاماتٍ إذا استثنينا مقامات أبي الطّاهر السّرقسطي (ت 538هـ) وهي خمسون .وقد يكونُ لهم مقاماتٌ أخرى ما زالت مطمورة أو ضائعة(4) .

= تصف واديها الذي نشأت وترعرعت فية وخلعت علية من إحساسها ومشاعرها الرقيقية .لُقبت بخنساء الأندلس لقُوّةِ شعرها ،وسُمُوّ إبداعها .

- زينب بنت زياد : شاعرة أديبة من ربات الجمال والمال والمعارف والعفة. فكان حب الأدب يحملها على مخالطة أهله مع صيانة ونزاهة.

- مريم بنتُ يعقوب الأنصاري : من الشاعرات الإشبيليات في القرن الخامس. أصلها من شِلْب وشهرتها وإقامتها بإشبيلية. كانت أديبة شاعرة جزلة مشهورة. وكانت تعلّم النساء وتعطيهنّ دروساً في الأدب مع الالتزام بالصون والعفاف. ولقد عمرت مريم طويلاً فيما يروي مؤرخو الأدب، وبلغت سبعاً وسبعين سنة فيما تروي عن نفسها، وتوفيت بعد 400 هـ .

- بُثينة بنت المعتمد بن عبّاد : هي شاعرة من شواعر الأندلس، أمها اعتماد الرميكية، وكان كلا أبويها شاعرين معروفين ،وكانت من جملة من سبي لما أحيط بأبيها ووقوع النهب في قصره ، واشتراها بعد سبيها تاجر من إشبيلية .

(2) انظر:ابن سعيد المغربي ،المغرب في حلى المغرب ،ج1 :143 ،ج2 :35 وما بعدها ،وانظر :المقري ،نفح الطيب ،ج4 :160،159 ،ج2 :490 ،491 :

- أمّ العلاء بنت يوسف الحجارية : شاعرة، عاشت في القرن الخامس الهجري، في وادي الحجارة وإليه نسبتها، وهي من أصل بربري.مولاة أبي مُطرّف بن غلبون اللغوي ،وقد أخذت عن مولاها النحو واللغة وفاقته في ذلك وبرعتْ في العروض ،توفيت سنة 450هـ .

- ولادة بنت المُستكفي : أميرة أندلسية وشاعرة عربية من بيت الخلافة الأموية في الأندلس، ابنة الخليفة المستكفي بالله تعالى . اشتهرت بالفصاحة والشعر، وكان لها مجلس مشهود في قرطبة يؤمه الأعيان والشعراء ليتحدثوا في شؤون الشعر والأدب بعد زوال الخلافة الأموية في الأندلس. توفيت سنة 484 هـ .

- مُهجة القُرطبيّة : صديقة الشاعرة ولادة وتلميذتها . من آخر شاعرات القرن الخامس الهجري في الأندلس .كان والدها بائع تين، وكانت ولادة بنت المستكفي معجبة بها ولزمت تأديبها ولكن علاقتهما مالبثت أن ساءت فقالت مهجة بنت التياني في ولادة هجاءً فاحشاً .

(3) انظر: علاونة شريف ،المقامات الأندلسيّة :9.

(4) المصدر نفسه .

ومن المعروف أنّ النّقدَ يتأثر بالأدب المطروح في أيّ بيئة ثقافيّة ،وفي أحيان كثيرة يُؤثر ويضعُ له أصولاً يسيرُ عليها .وذلك جليّ في النقد الأندلسيّ الذي كان مُنذ نشأته يسيرُ مع الأدب الأندلسي جنباً إلى جنب .وبما أنّ النقدَ في القرن الخامس الهجري يُعتبرُ مرحلة إبداعٍ وتفرّد . لذلك كان التيّارُ التطبيقيّ هو الطابعُ "المُميّز لحركة النّقد في الأندلس في القرن الخامس الهجري الذي خَلّف اتّجاهاتٍ واضحة وأفكاراً نقديّة قيّمة ،اتّسم كثيرٌ منها بالوُضوح والجرأة والدقّة والأصالة"(1) .وهذا ساهم كثيراً في بُروز الأدب الأندلسي ونقده وازدهاره في هذا القرن .

وقد كان لهذه الحركة النّقديّة آثارُها في المُعاصرين والمُتأخرين .فصنّف الباحث الدكتور مصطفى عليّان هذه المظاهر لأقسامٍ ثلاثة ،هي :مظهرٌ نقليّ ،ومظهرٌ توجيهيّ ،ومظهرٌ إيحائيّ .
أمّا المظهرُ الأوّل ،النّقليّ ،فيتمثّل بنُقولات المُعاصرين والمتأخرين من كُتُب النّقاد الأندلسيّين ،إمّا باقتباس أفكارٍ بنُصوصها ،كالثّعالبي (ت429هـ) الذي استحسن شعراً لابن شُهيد استحسنه لنفسه في التوابع والزّوابع وذلك في وصف ذئبٌ إذْ يقول :

أزَلَّ كَسَاً جُثْمَـــــــــانَـــه مُسْتَتِراً طَياليسَ سوداً للدُّجى وهو أطْلَسُ
فَدلّ عليـــه لَحظُ خِـــبّ مُخادع ترى نـارُه مـن مـاء عينيـته تَقْبَسُ

فصاحَ فتيانُ الجنّ عند هذا البيت الأخير :زاه.(2) .

كما يُرى تأثر الفتح بن خاقان أبو نصر الفتح بن عبد الله الإشبيلي (ت 535هـ) ببعض أحكام ابن بسّام الشنتريني (ت 542هـ) النقديّة حولَ بعض الشّعراء .فالأعْمى التُّطَيْلِيّ عند ابن بسّام :"له أدبٌ بارعٌ ،ونظرٌ في غامضةٍ واسع .وفهمٌ لا يُجارَى وذهنٌ لا يُبارَى ،ونظمٌ كالسّحر الحلال ،ونثرٌ كالماء الزُّلال ،جاء في ذلك بالنّادر المُعجز في الطّويل منه والمُوجز ،نظمُ أحبار الأمم في لبّة القريض ،وأسمعَ فيه ما هو أطرب من نظم معبد والغريض ،وكان بالأندلس سرّاً للإحسان وفرداً في الزّمان ،لمْ يطُلْ زمانه ولا امتدّ أوانُه واعتبط عندما به اغتبط وأضحتْ نواظر الأدب لفقده رمده ،ونُفوس أهله متضجّعة كمده"(3) .

---

(1) عليان مصطفى ،تيارات النقد الأدبي في الأندلس :661.
(2) الثعالبي ،يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر ،[-191] ،المطبعة الحقتية ،دمشق ،ج2 :43 .
(3) ابن بسّام ،الذخيرة ،ج2 :451 .

ونجد نقلا لهذا النصّ بشكلٍ أو بآخر عند ابن خاقان في كتابه مطمحُ الأنفس :"له ذهنٌ يكشفُ الغامض الذي يختفي ،ويعرفُ رسمَ المشكل وإنْ كان قد عفا ،أبصر الخفيّات بفهمه ،وقصّر فكهاً على خاطره ووهمه ،فجاء بالنّادر الذي أعجز ،وعطّل الطويل بالمقتضب الموجز ،ونظّم أخبار الأمم المفترقة في لبّة القريص وأسمعها وأطرب من نغم معبد والغريض ،وكن بلندلس سرّا للإحسان ومزريا على زيادٍ وإحسان ،إلّا أنه اختصر حين احتضر واعتبط عندما عندما استبشر به واغتبط ،فلم يطلْ زمانه ،ولمْ يهطل دراكا عنانه ،وأغفل الأوان من وسمه ،وأثكل لفقْد اسمه ،فأصبحت نواظر الآداب بعده رمده ،ونوسها متوجّلة كمده"(1) .

فيظهر مدى تأثر بن خاقان بكلام ابن بسّام ،ليس برأيه وحسب ،بل بطريقة صياغته لهذا الرّأي أيضا ؛حتى لو حاول إجراء بعض التّغييرات البسيطة على كلام ابن بسّام ليُظهر تفرّده في هذا الكلام .

وفي القرن الخامس بدأ النقد في الأندلس يرتفعُ إلى مستوى المُشكلات الكبرى التي دارتْ في النّقد المشرقيّ ،من حديث عن الطّبع والصّنعة ،واللفظ والمعنى ،والنّظم ،و الصّدق والكذب ،وما أشبه ذلك .فقد كان قبل ذلك في مجالي المستوى والتطبيق .إذْ كان القائمون على تدريس الشّعر من طبقات المؤدّبين لا يتجاوزون في أحسن حال التوفّر على علم معاني الشّعر ،وبعض الدّراسات اللغويّة والنّحويّة(2) .

وقد نقل ابن عبد ربّه في العقد الفريد حصيلة آراء المشارقة في عصر الرّواة ، ومنها عُيوبُ الشّعر ،وعدمُ تفضيل القُدماء على المُحدثين ،وتوفّر المَلكة والدّربة .و هو يقولُ للشّاعر إنه لا يُفيده أخذُ ألفاظ النّاس وكلامهم "فإنّ ذلك غيرُ مُثمرٍ لك ولا مُجدٍ عليك ما لمْ تكنْ الصّناعةُ ممازجةً لذهنك وملقّحة بطبعك" .ويُسمّي السّرقة باسم الاستعارة ،ويرى أخفاها وأدقّها ما كان ينقلُ المنثورَ إلى المنظوم أو العكس"(3) .فأصبحت الأمور بالنّسبة للأدباء شعراءَ وناثرين أكثرَ

---

(1) ابن خاقان ،قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ،1902م ،مطبعة التقدّم العلميّة ،القاهرة :315 .

(2) انظر: عباس إحسان ،تاريخ النقد الأدبي عند العرب:470- 471.

(3) انظر :المصدر نفسه : 471.

مُرونة ممّا كانت عليه من قبل عند المشارقة ؛وكأنّ مصطلح السّرقة الأدبية يكادُ يضمحلّ ليَحِلّ مصطلح الاستعارة بدلاً منه .فنرى من جهة أخرى تبدّلَ استعمال بعض المصطلحات ،كمصطلح الاستعارة .

ولأنّ القرن الخامس كان مرحلةً حاسمة في تاريخ الأدب والنّقد الأندلسي على حدّ سواء ؛حيث وُضوحُ المعالم والسّمات ،بل ووضوحُ البصمة الأندلسيّة ؛ولذلك سنجد النّقد الأندلسيّ في هذه المرحلة "دفاعاً عن الشّخصيّة الأندلسيّة ضدّ الظّلم والتجاهُل ، أو الاتّهامَ بأنّ الأندلس ليس فيها أدباءُ أو شعراء"(1) .لذلك تُرى الشخصيّة الأندلسيّة بوضوح وقوة في هذا القرن .

وفي هذه الحال يتّضح أنّ النّقد الأدبي في الأندلس لمْ يكنْ مُجرّد نقدٍ يتأثر بالأدب الذي كان للبيئة والظروف السائدة أثر فيه، وإنّما كان يُؤدّي دوراً مؤثراً في الدّفاع عن الأدب الأندلسيّ وأدبائه أيضاً ، شعراءَ وناثرين .

وإنْ كانَ النّقد يؤثر فإنه قبل ذلك يتأثر بالطابع السّائد في بيئة الأدباء .فلقد ساد في المجتمع الأندلسي آنذاك صبغةٌ دينيّة ،ولذلك لم يستطعْ النّقدُ الأندلسيّ التخلّصَ من تأثير هذه الصّبغة ،وبالتالي عدمُ قدرته على التخلّص من الأحكام الأخلاقيّة(2) .

وكان في طليعة الحركة النقديّة المُوجّهة للنقد الأدبيّ في هذا القرن ابنُ حزم الأندلسيّ (ت 456 هـ) ،وصديقه ابنُ شُهيد (ت 426 هـ) .وإنْ كان ابن حزم قد دخل مضمار النقدِ بمذهبه الظاهريّ الذي كان مفتاحاً لشخصيّة ابن حزم الأديب والفقيه والفيلسوف ، فإنّ ابن شُهيد قد دخل هذا المضمارَ من خلال "إعجابه الذاتيّ بنفسه الذي وضعه موضع التفرّد – في نظر نفسه – إزاءَ الآخرين"(3) .وبالرغم من ولوجهما النقد من بابين مختلفين إلا أنهما التقيا عند نقطة واحدة مفادها النهوض بالأدب الأندلسي وبالتالي النهوض بنقده .

ومن مُؤلّفات ابن شُهيد التي احتوت أحكاماً نقديّة وكان لها أثرٌ في توجيه حركة النّقد في

---

(1) عباس إحسان ،تاريخ النقد الأدبي عند العرب : 473.

(2) انظر: المصدر نفسه .

(3) المصدر نفسه :476.

الأندلس في القرن الخامس :كتابُ حانوت عطّار ،ورسالةُ التوابع والزّوابع ، ورسائلُ أخرى مُتفرّقة .
أمّا كتابُه **حانوتُ عطّار** فـ"لمْ يصلْنا ،ولكنّ الحُمَيْدي نقلَ عنه في جذوة المُقتبس ،و تدلّ نُقولُه على أنّ الكتاب تراجمُ لشعراءِ الأندلس ،فهو سابقٌ لكتاب الأنموذج في هذا المضمار،وفيه أحكامٌ نقديّة عامّةٌ ونماذج ممّا اختاره بحسب تلك الأحكام "(1) .

ومن ذلك ما قاله ابن شُهيد :"والفرقُ بين أبي عُمَر وغيره أنّ أبا عُمر مطبوعُ النّظام شديدُ أسرِ الكلام ،ثمّ زاد بما في أشعاره من الدّليل على العلمِ بالخبر واللغة والنّسب وما تراه من حَوْكه
للكلام ،ومُلكه لأحرارِ الألفاظ ،وسعةِ صدره وجَيَشة بحره ،وصحّة مقدرته على البديع ،وطُولِ طلْقه في الوصف ،وبُغيته للمعنى وترديده، وتلاعُبِه به وتكريره .وراحته بما يُتعبُ النّاس ،وسعة نفَسه بما يُضيق الأنفاس"(2) . وعدمُ وُصولِ كتاب حانوت عطّار إلينا ضيّع علينا فُرصة الاطّلاع عن كَثَبٍ على النّقد الأندلسيّ .

وليس كتاب حانوت عطّار وحده الذي فقدت فصوله ،بل ذكر محقق رسالة التوابع والزوابع أنّ هناك أجزاءً أخرى من التوابع والزوابع لمْ تصلْ إلينا ،وهي مفقودةٌ؛ فإلى اليوم لمْ يُعثر على مخطوطة لهذه الرسالة الهامّة(3) .

أمّا كتابُه التوابعُ والزّوابعُ فهو رسالةٌ اعتمدَ فيها فكرةً قديمةً في أنّ لِكُلّ شاعرٍ تابعاً من الجنّ يُلهمُه في شعره ،وقد عرضَ شعره على أتباعِ هؤلاء .وقد "أبطلَ ابنُ شُهيد المعتقد السّائدَ الذي وضّحه المرزوقي في أنّ النّثرَ والشّعرَ لا يتّفقان على درجةٍ في الجودة لشخصٍ واحد ،ولذا عرض ابنُ شُهيد شعره على قُدامى الفحولِ حين زارَ ديارَ الجنّ ،مثل امرئ القيس ،وطَرَفة ،وقيس بن الخطيم ،وكبارِ المُحْدَثين مثلَ أبي نَواس وأبي الطيّب .فكلّ أجازه وشهد له بالإجازة .ثمّ عرض نثره على تابعي الجاحظ،عبد الحميد فأجازاه كذلك ،فاستوت له التّقدمة في الصّناعتين .وهرب منه تابعُ بديع الزّمان حَسَداً وكَمَداً .وقال له صاحبُ عبد الحميد

---

(1) عباس إحسان ،تاريخ النقد الأدبي عند العرب :476.

(2) المصدر نفسه : 477.

(3) انظر :المصدر نفسه ،مقدّمة المحقق :11.

والجاحظ :اذهب فإنّك شاعرٌ خطيب(1) .وإذا أمعنا النظر في كتاب ابن شهيد وهو "التوابع والزوابع" سندرك مقدار ذكاء ابن شهيد النقدي ؛فلم يطرح آراءه النقدية بالشّكل الرتيب المعتاد ،بل جعله على شكل قصّة وبذلك يضمن رُسوخ آرائه النقدية في نفس متلقّيه .

وما احتوته رسالة التوابع والزوابع يعكسُ الذوق الأندلسيّ السّائد في القرن الخامس الهجري ؛ حيثُ عمد ابنُ شهيد في رسالته هذه إلى الالتقاء بتوابع الشعراء الجاهليين والإسلاميين والعباسيّين ،لكنّه في نفس الوقت كان يعيب على الشّعراء المقلّدين ابتداءهم شعرهم بالمقدّمة الطّلليّة التقليديّة .وكأنه يؤمن بأنْ لا غنى عن الشعر العربيّ القديم وتقليده ،ولكنْ لا بدّ من إلباسه ثوباً جديداً من طرازٍ أندلسيّ يُعبّر عن خصوصيّة أدب تلك البقعة .

فيُلاحظُ هنا وبوضوح ما كان عليه الأدب الأندلسيّ من تبعيّة للمشرق في بادئ الأمر ،ثُمّ ما آل إليه من الإحساس بذاته وبناء كيانٍ خاصّ به .يتّضحُ ذلك من خلال كلام ابن شُهَيد ،بلْ من خلال طريقته في تأليف الكتاب أصلاً ؛فهو وإنْ كان يأخُذُ آراءَ القدماء في شعره ونثره ،إلا أنّ له آراء نقديّة مستقلّة استطاع أنْ يُقنع المجتمع الأندلسيّ بها وأنْ يفرضها عليه ،بل وأنْ يُعرف هذا المجتمع بها .

وقد ركّز ابنُ شُهَيد على قضيّة مهمة طُرحت عند المشارقة قبل ذلك وهي حُسن استعارة المعاني ؛فإذا كان لا بُدّ للشاعر من أخذ معنى سبقه إليه شاعرُ آخر فعليه أنْ يُحسنَ تركيبَه بحيثُ تظهرُ فيه خُصوصيّته وبصمتُهُ ،فيُنتجَ لنا معنىً جديداً طريفاً ليُنسي إبداعُه وحَوْكُه ذاك المعنى القديم الذي سبقه إليه ذاك الشّاعر .ومن ذلك ما ذكره في رسالته على لسان الشّيخ الذي مرّ به يُعلّم بنيّاً له صناعة الشّعر وهو ينصحُهُ بقوله :"إذا اعتمدْتَ معنىً قد سبقكَ إليه غيركَ فأحسنْ تركيبَهُ وأرقّ حاشيَتهُ فأضربْ عنه جُملة ،وإنْ لمْ يكنْ بُدّ ففي غير العَروض التي تَقَدّمَ إليها ذلك المُحسنُ لتنشط طبيعتك وتقوى متّنك"(2) .لأنّه إنْ لمْ يفعلْ ذلك فسيَظهرُ ضعفُهُ وعدمُ تمكّنه من قولِ الشّعر ، فإنْ أحسن الشّاعرُ الأخذ والاستعارة عن سابقيه ،بأنْ تظهر بصمته فيما أخذ ،فإن ما سيرسخُ في ذهن المتلقّي أنّ هذا الشّاعر الذي استعار تلك الصّورة أو ذاك المعنى ،هو من أبدعه

---

(1) انظر: ابن شهيد ،التوابع والزوابع :43- 49 ،65- 68.

(2) عباس إحسان ،تاريخ النقد الأدبي عند العرب : 478.

ويظهرُ من خلال هذا التوجيه المُباشر عنايةُ ابن شُهَيد بعمليّة الإبداع الشعريّ ، وهو بذلك يُؤكّد وُجوب وُجودِ خطّ يسيرُ عليه المُبدعون بهدف الوُصول إلى قمّة الإبداع الأدبيّ بالشّعر الأندلسيّ ،وتأكيدِ وُجوده .وهذا الخطّ ليس من بابِ تقييد الفكر والإبداع ،ولكنّه بمثابة نبراسٍ يُضيءُ الطّريقَ لِمُبدعي العصر. و يُمكنُهم قياسُ ذلك الأمر على كُلّ عمليّة إبداعٍ أدبيّ ،شعريّةً كانت أمْ نثريّةً .

ومن عباراته النقديّة التي يعبّر فيها عن استحسانه الشعر :"فكدْتُ والله أخرج من جلدي طرباً " (1) ،وفيها يظهرُ تأثّره بالمشرق قليلاً .

وأمّا فيما يتعلّق بقضيّة اللفظ والمعنى ،فقد كان ابنُ شُهيد ليسَ ممّن يُفضّلون ويُغلّبون المعنى على اللفظ أو اللفظ على المعنى ،وإنّما كان ممّن يُؤمنون بتعاضد اللفظ مع المعنى ودُخولهما في بوتقة واحدة عبارة عن الطّبع مع الوزن.فقد جعل أواخرَ رسالته التوابع والزوابع تهكّماً وسخريةً من عُلماء اللغة ،و بخاصّة بابن الإفليلي اللغوي شارح ديوان المُتنبّي(2) .وقد وضّح سببَ ذلك الهُجوم في رسائله البيانيّة الأخرى ؛فيرى أنّهم يعتقدون بأنّ بضاعتهم وسيلةٌ لتعليم البيان .فقال :وإصابةُ البيان لا يقومُ بها حفظُ كثيرِ الغريبِ واستيفاءُ مسائلِ النّحوِ ،بل بالطبع مع وزنه من هذين ؛ومقدارُ طبع الإنسان إنما يكونُ على مقدار تركيبِ نفسه مع جسمهِ (3) .

وكانَ ممّا طرحهُ في رسائله تلك ما يُشبه طرحَ عبد القاهر الجرجاني عند المشارقة في حديثه عن نظريّة النّظم ،وقد أطلق الباحث الدكتور إحسان عبّاس عليها اسماً الآخر وهو "تركيبُ الحسن من غير الحسن"(4) .وكأننا هنا نقف عند الفرق بين اللغة والكلام ؛أي إحدى أهمّ النظريّات الألسنية الحديثة .

---

(1) ابن شهيد ،التوابع والزوابع :31 .

(2) انظر:المصدر نفسه :59- 63 .

(3) انظر:المصدر نفسه :63- 64 .

(4) انظر:عباس إحسان ،تاريخ النقد الأدبي عند العرب : 479.

وهذه النظرية من ابتكاره ويعني بها أنّ كُلّ جزءٍ على حدة ليس فيه جمالٌ ،فإذا ما تركّبت الأجزاء شعّت بجمال ناجمٍ عن التركيب المُنسجم(1) .لذلك قال ابن شهيد إنّ للحروف أنساباً وقرابات تبدو في الكلمات ،فإذا جاور النسيبُ النسيبَ ومازج القريبُ القريب طابت الألفة وحسُنت الصّحبة(2) ،وهذه المهارة يُتقنها الأدباء بمستوياتٍ مختلفة .

وإذا كان ابن شُهيد قد استهزأ ببعض علماء اللغة كابن الإفليلي اللغوي ؛لرؤيته بأنّ البيان لا يكونُ بالتلقّي وإنّما بالموهبة التي لا تُعلّم ،فقد بيّن بأنّ البيان يُمكنُ تعليمه ،و لكن ليس على يد عُلماء اللغة ،وإنّما على يد خبيرٍ وموهوبٍ في هذا العلم ،حيثُ الواحدُ فيهم قدر على "تفجير صفاء غيره"إذا كان المُتعلّم ذا استعدادٍ نفسيّ لذلك(3) .

وقسّم ابن شُهيد أصحابَ صنعة الكلام إلى ثلاثة أقسام :ولم يكن تقسيمه لهؤلاء اعتماداً على محاباة للّفظ أو المعنى ،وإنّما على القدرة على التوفيق بينهما ،كما يأتي :

1- قسمٌ يخترعُ المعاني ،ويعرفُ جيّد اللفظ ،ولكنّه يحتاجُ لجهد وإعمال قريحة ،حتى يُوفّق بينهما .
2- قسمٌ يمتلك القدرة على التلفيق بين المعاني ،لكنّه يفتقر إلى الفكرة واللفظ ،لذلك فهذا القسم يكسب الرضى المُؤقّت من مُعاصريه .
3- قسمٌ يُسمّى أصحابُه بأصحاب الحِدّة البيانيّة ،وهم الذين يبنون الكلام على الاندفاع والانصباب مع التوفيق التامّ بين حُسن الفكرة والقُدرة على التوفيق التام بين المعاني ،بين الفكرة الصّعبة ومائيّة الشكل . وشبّههم باللقوة أو العقاب في المرقب لا تتاح له جارحة إلا اقتصّها ولا تُنازله طائرة إلا اختطفها جرأته كشفرته وبديهتُهُ كفكرته(4) .

وقد مجّد ابنُ شُهيد البديهة ،ورآها محكّاً للجودة ،يقول في ذلك :"وإنّما يتبيّن تقصيرُ المُقصّر وفضلُ السّابق المُبرّز إذا اصطكّت الرّكب وتزاحمت الحلق ،و استعجل المقال ،ولا تُوجد فسحة

---

(1) انظر: ابن شهيد ،التوابع والزوابع :65 .
(2) انظر :المصدر نفسه :66 .
(3) انظر:المصدر نفسه :60- 62 .
(4) انظر:عباس إحسان ،تاريخ النقد الأدبي :481 .

لفكرة ولا أمكنت نظرة لرويّة ... فترى الجواد السابقَ إذ ذاك مُتشوّقاً بأذنه ،باحثاً لكديد الإحسان بيده ،طامح النظر ،صهصلق الصّهيل ،وأهل الصنعة خرسٌ لا يُسمعُ لهم جرس ..."(1) . وهو هنا يُعلي من شأن البديهة في الشّعر ،والنّثر .فالشاعرُ الحقيقيّ هو الذي تسيرُ المعاني إلى ذهنه وتتدفّق بيُسرٍ وسُهولة إلى لسانه .ومثل ذلك أكثر ما يكونُ في المُناظرات الأدبيّة ،الشّعريّة على وجه الخُصوص .

ومن العجيب أنْ يطلبَ ناقد التّسوية بين نتاج البديهة ونتاج الرّويّة ،ولكنّ ابن شُهَيد كان يُحسّ بقدرته على الاثنتين ،مثلما يُحسّ بتميّزه في الصّناعتين ،ومن هنا وضعَ المقياسَ الذي يُلائمُهُ ،وإنْ عزّ تطبيقه حين يُحاولُ ناقدٌ أنْ يُوازي بين بديهة ابن شُهيد ورويّته(2) .وابنُ شهيد لا يعني بكلامه أنْ يقلّل من شأن الرويّة ،أو أنْ يُعلي من شأن البديهة والارتجال على حساب الرويّة ،وإنّما يقصد من وراء ذلك أنْ يُبيّن مراتب الإبداع في الأدب ،وكأنه يُعطينا أقساماً ومراتب أخرى للبيان في الأدب ،شعره ونثره .فهناك الإبداعُ الذي يأتي من بديهة صاحبه أثناء المناظرات الأدبيّة ،دون تحضيرٍ مُسبق وهو أعلى مراتب الإبداع ، فهو وليدُ ساعته .أمّا الأدب الذي يأتي من تحضيرٍ مُسبقٍ عند صاحبه ،فهو إبداعٌ أيضاً ولكنّه إبداعٌ من الدرجة الثانية ،لأنه يأتي بعد تهذيبٍ وتنميقٍ وترتيبٍ ،كالذي عُرف عن أصحاب الحوليّات قديماً .

ومثلما أنّ ابن شُهيد قد جعلَ أعلى صور البيان في القول عند الأدباء هو ذلك الأديب الذي له القدرة في قوله على التوفيق بين الفكرة الصّعبة ومائيّة الشّكل ،فإنّ مُهمّة النّاقد الأدبي هي الكشفُ عن هذا التلاؤم وتمييزه من سائر مراتب الصّناعة .(3) . فوظيفة الناقد وضع المسائل الأدبيّة في نصابها ومكانها الصّحيح ،لا سيّما إنْ كان دور النّاقد مفصليّا في توجيه حركة الثقافة والأدب كما في الأندلس في القرن الخامس ،حيث لم تتّضح ملامح الأدب الأندلسي وحسب ،بل وملامح النقد الأندلسي كذلك .

فالناقد الحقّ بالنّسبة لابن شُهيد هو الذي يعي طبيعة الشّعر الأندلسي المستمدّ من الطبيعة

---

(1) انظر:ابن شهيد ،التوابع والزوابع :67 .

(2) انظر: عباس إحسان ،تاريخ النقد الأدبي :481 .

(3) المصدر نفسه .

الأندلسيّة ،فلا يستهويه الشّكلُ ويُنسيه التفتيشَ عن المعنى ،يقول في هذا :"فقد ترى الشّعرَ فضيّ البشرة وهو رصاصيّ المكسر .ذا ثوبٍ مُعضّد أو مُهلهل ،و هو مشتمل على بهق أو برص ...."(1) .وهو يدعو من خلال ذلك إلى نقد منهجيّ مبنيّ على أسسٍ واضحة ،بعيدٍ عن النقد الانطباعيّ الذاتيّ الذي لا يعدو أنْ يكونَ مُجرّد لآراء تتعلّق بالإجادة او عدمها ،أو الإعجاب بهذا البيت أو ذاك ،أو بهذه القصيدة أو تلك القصيدة أو تلك ،دونما سبب مقنع .

والنّاقدُ الحقّ ليس من لا ينخدعُ بالشّكل وحسب ،بل من لا ينخدع بالعاطفة الجيّاشة في القصيدة الشعرية(2) .فالعاطفة سمة عامّة في الشّعر ،حيث أنّ الناقد لا يقرأ النصّ مثل أيّ قارئ عاديّ ،وإنّما يقرأ بعقله وعينه معاً.

وتحدّث ابنُ شُهيد عن قاعدة نقديّة مهمّة جدّاً ،وهي أثرُ تغيّر الشّعر والأذواق التي تتلقّاه بتغيّر الزمن ؛فما كان مقبولاً في عصر أصبح مُستهجناً في عصرٍ آخر .

ودعا ابنُ شهيد إلى أنْ ينحو الأديبُ نحواً وسطاً بين تطوّر الذوق الذي كانَ يميلُ إلى كثرة المُحسّنات البديعيّة ،لاسيّما التجنيسُ وغيره ،والذوق القديم الذي يسيرُ على طريقة العرب التقليديّة .فرأى الباحث الدكتور إحسان عبّاس أنّ ابن شهيد يُناقض نفسه في ذلك ؛فهو يقول بتغيّر الذوق بتغيّر الزمان ،ثُمّ يدعو إلى التوسّط والاعتدال في استخدام المُحسّنات البديعيّة في العمل الأدبي ،رغم أنّ الذّوق السّائد في عصره هو الإكثارُ من هذه المُحسّنات البديعيّة لدرجة مُفرطة في أحيانٍ كثيرة(3) .ولكنّ الباحثة ترى أنْ لا تناقُض في موقف ابن شُهيد ؛حيثُ أنّ من أبرز خُصوصيّات ابن شُهيد النقديّة أنّه يضع مسؤوليّة على عاتق المُتلقّي فيما يتعلّق بتوضيح صورة الذّوق السّائد ،وما يجب أنْ يكون الأمر عليه من الأخذ بقدر الحاجة من هذا السّائد ،دون إفراطٍ أو تفريط .

---

(1) انظر:ابن شهيد ،التوابع والزوابع :70 .

(2) انظر: عباس إحسان ،تاريخ النقد الأدبي :482 .

(3) انظر:المصدر نفسه :483 .

أمّا صديقه ابن حزم الأندلسيّ الظّاهريّ فقد كان له دوره المؤثر أيضاً في حركة الأدب ،شعره ونثره ،والنّقد .وقد كان الأديب والفيلسوف والنّاقد والفقيه .ويُعتبرُ مذهبه الظّاهري مفتاحاً لفهمه وفهم رسائله وما يتعلّق فيها من موضوعاتٍ ومعتقداتٍ وأفكار .

وقد فتح ابنُ حزم لنفسه من خلال مذهبه الظاهريّ مداخل كثيرة إلى النقد الأدبيّ ، من خلال ثقافته الدّينيّة أوّلاً وثقافته الأدبيّة بحفظه لأشعار الأندلس ،ودراسته للفلسفة والمنطق ،واطّلاعه على طرائق النّقاد المشارقة .لكنّ هذه الثّقافة الواسعة لابن حزم واجهتها صعوبات كثيرة حاولت الحيلولة بينها وبين النّهضة النّقديّة في الأندلس في القرن الخامس(1) .

ومن المُعتاد أنْ يكونَ الإحساسُ المرهف الذي يمتلكُه الأديب أن يُساهمَ في رُقيّ الأدب وحسبْ ،لكنّ هذا الإحساسَ المُرهفَ عند ابن حزم قد أثّر حتى على الحركة النّقديّة في عصره ،وخصوصاً فيما يتعلّق بتفسير قضية الحب .فقد ذكر الباحث الدّكتور إحسان عبّاس أنّ ابن شُهيد قد تأثّر بكلام ابن حزم فقد قال: "ومقدارُ طبع الإنسان إنما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه" .

---

(1) انظر: عباس إحسان ،تاريخ النقد الأدبي :484 .

(2) انظر:المصدر نفسه :479 .